

أضواء البيان

. @ 36 @

وقال القرطبي في تفسير قوله : { وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً } ومعنى هذا : أن كل واحد مختبر بصاحبه ، فالغنى ممتحن بالفقر عليه أن يواسيه ، ولا يسخر منه ، والفقر ممتحن بالغنى عليه أن لا يحسده ولا يأخذ منه إلا ما أعطاه ، وأن يصبر كل واحد منهما على الحق ، كما قال الضحاك في معنى : أتصبرون : أي على الحق ، وأصحاب البلايا يقولون : لِمَ لَمْ نَعاف ، والأعمى يقول لم لم أجعل كالصير ؟ وهكذا صاحب كل آفة ، والرسول المخصوص بكرامة النبوة فتنة لأشراف الناس من الكفار في عصره وكذلك العلماء ، وحكام العدل ألا ترى إلى قولهم : { لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرْآنِ يَتَذَكَّرُ } فالفتنة أن يحسد المبتلى المعافى ، ويحقر المعافى المبتلى ، والصبر أن يحبس كلاهما نفسه هذا عن البطر ، وذلك عن الضجر . انتهى محل الغرض من كلام القرطبي . .

وإذا علمت معنى كون بعضهم فتنة لبعض . فاعلم أن قوله تعالى : { وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ } الآية . فيه فتنة أغنياء الكفار بفقراء المسلمين ، حيث احتقروهم وازدروهم ، وأنكروا أن يكونوا من عليهم دونهم لأنهم في زعمهم لفقرهم ، وورثاة حالهم ، لا يمكن أن يرحمهم إلا ويعطيهم من فضله الواسع كما قال تعالى عنهم إنهم قالوا فيهم { لَوْلَا كَانَ خَيْرًا مِّمَّا سَيَقُولُونَ } وقال { عَلَيْهِمُ الذِّكْرُ } بَيِّنَاتٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ ، وسيوبخهم يوم القيامة على احتقارهم لهم في الدنيا كما قال تعالى : { أَهَآؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُّ بِرَحْمَةٍ إِذْ خُلُوا إِلَى الْجَنَّةِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ } وقوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَصْخَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ } إلى قوله تعالى : { فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَصْخَكُونَ عَلَى الْأُرَائِكِ يَنْظُرُونَ * هَلْ نُؤِيبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } وقوله تعالى : { وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوَقَّهْمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } وقوله تعالى : أتصبرون ، أي على الحق أم لا تصبرون . والعلم عند الله تعالى . قوله تعالى : { وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ } .

وَعَتَّوْا عْتُوَّا كَبِيرًا { .